

منهج الإمام جلال الدين الخبازي في الإلهيات من خلال كتابه الهادي في علم الكلام
الباحثة: زهراء فخر حازم سعيد
أ.م. د. غزوان صالح حسن

منهج الإمام جلال الدين الخبازي في الإلهيات من خلال كتابه الهادي في علم الكلام

The approach of Imam jalal alddin Al-Khabbazi through his book Al-Hadi in the science of theology

الباحثة: زهراء فخر حازم سعيد*

Zahraa F. Hazem Saeed

zahraa.23risp40@student.uomosul.edu.iq

أ.م. د. غزوان صالح حسن

ملخص البحث

تعد الإلهيات من أهم الموضوعات في علم الكلام، فهي تتناول المسائل المتعلقة بإثبات وجود الله، و وحدانيته، واسمائه، وصفاته، وأفعاله، ويعد الإمام جلال الدين الخبازي (رحمه الله تعالى) من العلماء الذين تناولوا مسائل الإلهيات بأسلوب يجمع بين النقل والعقل، مما جعله يبرز منهجاً متكاملًا يجمع بين الاستدلال النصي والتنزيه العقلي.

الكلمات المفتاحية: جلال الدين الخبازي، الهادي، علم الكلام، الإلهيات، المنهج.

Abstract

Theology is one of the most important topics in theology, as it addresses issues related to proving the existence of God, His oneness, His names, attributes, and actions. Imam jalal alddin al-Khabbazi (may God have mercy on him) is one of the scholars who addressed theology in a style that combined both tradition and reason, which led him to develop an integrated approach that combines textual reasoning with rational transcendence

* جامعة الموصل كلية العلوم الإسلامية قسم العقيدة والفكر الإسلامي

University of Mosul College of Islamic Sciences Department of Islamic Creed and

Thought

Keywords: jalal alddin Al-Khabbazi -The guide – islamic Theology - Theology Methodology

المقدمة

الحمد لله الذي وسع كل شيء علمًا، المتصف بصفات الكمال المنزه عن كل نقص، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، تعالى عن الشبيه والنظير، لا يشبهه شيء وهو السميع البصير، والصلاة والسلام على سيد العالمين، هادي الخلق إلى الصراط المستقيم، وداعيهم إلى التوحيد، مُحَمَّدٌ وعلى آله وصحبه اجمعين.

أما بعد:

فقد اهتم علماء المسلمين بما يتعلق بمسائل الإلهيات فتناولوها بالدراسة والبحث معتمدين بذلك على الكتاب والسنة النبوية، ولالإمام جلال الدين الخبازي (رحمه الله تعالى) نصيب من ذلك فقد جاء في كتابه (الهادي في علم الكلام) موضوع رسالتنا، فنراه عرض في مبحث الإلهيات منهجًا متوازنًا جمع فيه بين وضوح العبارة، الذي يسهل ويسر الفهم للقارئ، وهذه غاية الإمام (رحمه الله تعالى) من تأليف الكتاب، وبين بساطة المنطق، الذي يتميز بمقدمات عقلية سهلة ومقبولة من غير تعقيد أو تكلف، واقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة فيها أهم النتائج التي توصلت إليها:

تمهيد:

١- تعريف المنهج لغة واصطلاحًا.

٢- حياته الشخصية.

المبحث الأول: استحالة كون الباري عرضًا أو جوهراً أو جسماً

المطلب الأول: في كونه تعالى ليس بعرض.

المطلب الثاني: في كونه تعالى ليس بجوهر.

المطلب الثالث: في كونه تعالى ليس بجسم.

المبحث الثاني: نفي الحدوث عن كلام الله.

المبحث الثالث: إبطال التشبيه.

ثم خاتمة تضمنت جملة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث

تمهيد

يعد فهم المنهج امراً أساسياً في سياق دراسة العلوم الإسلامية، ومن بين العلماء الذين تميزوا باتباع منهج علمي، الإمام جلال الدين الخبازي، فيما يلي تعريف المنهج لغة واصطلاحاً ثم نتحدث عن الحياة الشخصية للإمام، سنذكر اسمه وكنيته ولقبه، آثاره العلمية، ووفاته.

١- تعريف المنهج لغة واصطلاحاً:

المنهج (لغة): أصله (نهج) النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول النهج، الطريق. ونهج لي الأمر: أوضحه. وهو مُستقيم المنهج. والمنهج: الطريق أيضاً، والجمع المناهج^(١) [معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٨٨/٥].

المنهج اصطلاحاً: "هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين، حين نكون عارفين بها"^(٢)

٢- حياته الشخصية:

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه:

هو الإمام المتكلم الأصولي الفقيه: عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْخَبَزِيِّ^(٣)، الماوراء نهري^(٤)، الحنفي وكنيته: أبو محمد، ولقبه: جلال الدين^(٥).

وأما فيما يتعلق بشهرته بالخبازي فإنني بعد تتبع المصادر لم أقف على نص صريح يبين سبب هذه الشهرة، غير أن الظاهر أن هذه النسبة تعود إلى شهرة عائلية، كما هو الحال في كثير من الألقاب التي

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٨٨/٥ .

(٢) مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ص ٤.

(٣) نسبة إلى بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون، بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقاً، تقع حالياً في طاجيكستان. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣٤٧/٢.

(٤) يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة وفي الإسلام سموه ما وراء النهر، وما كان في غربيته فهو خراسان وولاية خوارزم، وخوارزم ليست من خراسان إنما هي إقليم برأسه، وما وراء النهر من أنزه الأقاليم وأخصبها وأكثرها خيراً. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤٥/٥.

(٥) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، ١١٥/٥٢؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٩٠/١٣؛ الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر الدمشقي، ٣٨٦؛ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ٣١٥/٧.

التصقت بأسماء العلماء نسبةً إلى مهنٍ أو عائلاتٍ اشتهروا بها، لا لكونهم مارسوا تلك المهنة بالضرورة، وإنما لما لها من دلالة عرفية أو اجتماعية في ذلك العصر.

ثانياً: آثاره العلمية:

إن الإمام (رحمه الله) فقيه بارع زاهد، عارف بالمذهب، جامع للفروع والأصول صنف في الفقه والأصولين (أصول الدين وأصول الفقه) وفي فنون كثيرة وأفتى ودرّس مدة طويلة^(١).

للإمام جلال الدين الخبازي مصنفات منها:

١- (الهادي في علم الكلام):

٢- (المغني في أصول الفقه):

٣- (شرح المغني في أصول الفقه):

٤- (شرح الهداية في الفقه للمرغيناني):

ثالثاً: وفاته:

توفي جلال الدين الخبازي لخمس بقين من ذي الحجة، ودفن بمقابر الصوفية بدمشق^(٢) التي توفي فيها، واختلف في سنة وفاته، فالذي عليه أكثر كتب التراجم ولا سيما تراجم الحنفية أنها سنة (٦٩١ هـ) وله اثنتان وستون سنة^(٣).

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٩١/١٣؛ الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر الدمشقي، ٣٨٦/١؛ تاريخ الاسلام، شمس الدين الذهبي، ١١٥/٥٢.

(٢) مقبرة الصوفية أو مقبرة البرامكة هي إحدى أهم المقابر عند المسلمين، وتتواجد في شرق مباني جامعة دمشق، محلّة البرامكة في مدينة دمشق في سوريا، ومقابر الصوفية بها جماعة من العلماء أئمة الدين وصالحي المسلمين كابن الصلاح وابن تيمية وابن المبارك وغيرهم.. ينظر: نزهة الأنام في محاسن الشام، البدري الدمشقي، ص ٣٣؛ . <https://2u.pw/8j0OAXUF>

(٣) ينظر: شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ٤١٩/٥؛ والاعلام، الزركلي، ٦٣/٥؛ والدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر الدمشقي، ٣٨٦/١؛ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ٣١٥/٧. تذكرهم باقي المصادر، أو قد يكون أبو الحسنات اللكنوي قد اعتمد على مصادر إضافية. ينظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبو الحسنات اللكنوي، ص ١٥١.

المبحث الأول

استحالة كون الباري عرضاً أو جوهرًا أو جسمًا

المطلب الأول

في كونه تعالى ليس بعرض

العرض لغة: "العين والراء والضاد بناء تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد وهو العَرَض الذي يخالف الطول"^(١)

وعَرَض الشيء عليه يعرضه عَرَضًا أراه إياه^(٢)، قال تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧))^(٣). أي تريدون ما يفنى والله يريد ما لا يفنى؛ لأن قوله: والله يريد الآخرة فيه حذف مضاف تقديره: والله يريد دائم الآخرة. ثم نقل في عرف المتكلمين إلى المعنى القائم بالجواهر كالعلم والجهل وغير ذلك من سائر المعاني^(٤).

واصطلاحًا: هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع، أي محل، يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به^(٥)، أي أنه غير دائم ومستحيل البقاء بذاته، وقد ثبت أن للباري سبحانه وتعالى بقاء لم يزل ولا يزال فاستحال كونه عرضًا، ولأن العرض ما يطرأ في المحل أو يفترق إلى محل يقوم به والله تعالى منزّه عن ذلك^(٦).

وذهب أهل الحق إلى استحالة كون الباري عرضًا؛ لأن العرض لا يقوم بنفسه بل يحتاج إلى محل يقوم به كالجسم، فلو قام العرض بعرض لكان المحل جواهر فيلزم أن يكون عرضًا لا عرضًا ولا جسمًا لا جسمًا وهو محال^(٧).

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢١٩/٤.

(٢) ينظر: الصحاح، الجوهري، ١٠٨٢/٣.

(٣) سورة الانفال: من الآية ٦٧.

(٤) ينظر: رفع النقاب عن تنقيح الشهاب، الحسين الشوشاوي، ٣٩٧/١.

(٥) ينظر: التعريفات، الجرجاني، ١٤٨/١.

(٦) ينظر: تشييف المسامع بجمع الجوامع، الزركشي، ٦٥٠/٤.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٨٨٨/٤.

قال الإمام (رحمه الله): "إن صانع العالم ليس بعرض، لأنه اسم لما لا دوام له، ويستحيل وجوده إلا في جسم أو جوهر، والقديم واجب الدوام فلا يكون عرضاً؛ ولأن الفعل المحكم المتقن لا يتأتى إلا من حي عالم قادر، وكون العرض حياً عالمًا قادرًا محال^(١).

وزعمت المعتزلة أن الله تعالى لو كانت له صفات أزلية كالحياة والعلم والقدرة لكانت أعراضاً لاستحالة قيام هذه الصفات بأنفسها وقيام العرض بذات الله محال^(٢). "وأما الكرامية فأنهم لما عرفوا ثبوت هذه الصفات لله تعالى بالدليل الضروري، وعلموا أنها لا تقوم بذواتها بل تقوم بذاته تعالى سمّتها أعراضاً لوجود ما كان العرض لأجله عرضاً في الشاهد^(٣).

وقد رد الإمام (رحمه الله) وبين فساد قولهم فقال: "وكلا المذهبين فاسد؛ لأنّ العرض عرض لاستحالة بقائه، سمي السحاب عارضاً لعدم دوامه، ويقال: عرض لفلان كذا، أي معنى لا قرار له، لاستحالة قيامه بذاته، فلم تكن صفات الله تعالى أعراضاً لوجوب بقائها^(٤).

نلاحظ أن الإمام (رحمه الله) قد ركز في هذه المسألة على إقامة برهان عقلي، لإثبات أنه تعالى ليس بعرض، وبعدها قام الإمام (رحمه الله) بنقد المذاهب المخالفة وردّ عليهم، فقد اتبع منهجاً عقلياً تحليلياً، جمع بين البرهان المنطقي والنقد للمذاهب الأخرى، وسعى الإمام (رحمه الله) في هذه المسألة إلى تنزيه الله تعالى عن النقص، وفسر أن صفاته تعالى ليست أعراضاً لوجوب قيامها وبقائها بذاته تعالى.

المطلب الثاني

في كونه سبحانه وتعالى ليس بجوهر

الجوهر لغة: ما خلقت عليه جِبِلَّةُ الشَّيْءِ^(٥). **واصطلاحاً:** "يطلق الجوهر في اصطلاح المتكلمين على كل ذي حجم متحيز، والحيز^(٦) هو المكان. والجوهر هو الجزء الذي لا يتجزأ، فكل جسم ينتهي بالقسمة إلى

(١) الهادي في علم الكلام، جلال الدين الخبازي، ص ١٤٦

(٢) ينظر: تبصرة الأدلة، ابو معين النسفي، ص ١٤٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ص ١٤٦.

(٤) ينظر: الهادي في علم الكلام، جلال الدين الخبازي، ص ١٤٧.

(٥) ينظر: المحيط في اللغة، الفيروزآبادي، ١/ ٣٥٠.

(٦) الحيز لغة: هو الفراغ مطلقاً سواء إن كان مساوي لما يشغله أو زائداً عليه أو ناقصاً عنه. وفي اصطلاح المتكلمين والحكماء لا يتصور زيادة الشيء على حيزه ولا زيادة حيزه عليه، وقيل الحيز والمكان واحد عند من جعل المكان السطح أو البعد المجرد المحقق وكذا عند المتكلمين إلا أنه بمعنى البعد المتوهم. ينظر: كشف اصطلاحات الفنون، التهانوي، ١/ ٧٢٥ - ٧٢٧.

جزء لا يتجزأ يسمى جوهرًا^(١). وقال الغزالي: "والجوهر على اصطلاح المتكلمين عبارة عما ليس في محل"^(٢).

وأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز أي يختص بالكون في الحيز خلًا للنصارى، فعلم أن الحيز والحركة والسكون من سمات الحوادث وخصائص الجواهر والله سبحانه منزه عنه وقد صرح الإمام (رحمه الله)، عن هذه العقيدة بقوله: صانع العالم ليس بجوهر، لأن الجوهر في اللغة عبارة عن الأصل، يقال للثوب إذا كان محكم الصنعة جيد الأصل: إنه ثوب جوهرى، وسمى الجزء الذي لا يتجزأ جوهرًا؛ لأنه جار مجرى الأصول للمركبات.

ثم كما تدور الجوهرية مع القيام بالذات وجودًا وعدمًا يدور مع كونه أصلًا للمركبات أيضًا. وفي لفظ الجوهر ما ينبئ عن الأصالة لغة لا عن القيام في الذات، فكان جعله جوهرًا لكونه أصلًا أولى من جعله جوهرًا؛ لأنه قائم بالذات؛ لأن دلالة الدوران مشتركة، ودلالة الوضع خاص في الأصالة. الا ترى أن كل جوهر في الشاهد قابل للعرض، وتدور الجوهرية معه وجودًا وعدمًا، ثم لم يجعل القابل للأعراض حدًا للجوهر، لما أن اللفظ لا ينبئ عنه لغة فكذا هذا^(٣).

وقال ابن كرام^(٤) في كتابه المسمى (عذاب القبر) إنه إحدى الذات، إحدى الجوهر، وإنه مماس للعرش من الصفح العليا، وجوز الانتقال، والتحول، والنزول، وهذا من ابن كرام خروج عن إجماع المسلمين^(٥).

ليس مثله بل قال ليس كمثله فدل على غاية التنزيه؛ إذ إن لم يكن لمثله مثل فكيف يكون له مثل سبحانه وتعالى^(٦).

ومن بدع الكرامية أنهم يقولون في المعبود إنه جسم لا كالأجسام، ويقولون: إن الله جسم قديم أزلي، وإنه لم يزل ساكنًا ثم تحرك لما خلق العالم، ويحتجون على حدوث الأجسام المخلوقة بأنها مركبة من

(١) ينظر: العقيدة الأشعرية وادلتها، عبد الغني العموري، ص ٢٨.

(٢) معيار العلم في فن المنطق، الغزالي، ص ٣٠٥.

(٣) ينظر: الهادي في علم الكلام، جلال الدين الخبازي، ص ١٤٩.

(٤) هو محمد بن كرام السجستاني البتدع، شيخ الكرامية، كان زاهدًا عابدًا، بعيد الصيت كثير الأصحاب، ولكنه يروي الواهيات وكان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد، مجرد عن عقد القلب وعمل الجوارح، وسجن ثمان سنين (ت: ٢٥٥هـ) بارض المقدس. ينظر: سير اعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ٤١١/٩.

(٥) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١٠٨/١-١٠٩؛ تبصرة الأدلة، ابو معين النسفي، ص ١٤٨.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤٦/٢٥.

الجواهر المفردة، فهي تقبل الاجتماع والافتراق، ولا تخلو من اجتماع وافتراق، وهي أعراض حادثة لا تخلو منها، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث^(١).

المشبهة هم الذين شبهوا صفات الله عز وجل بصفات المخلوقين فقالوا له يد المخلوقين ورجل كرجل المخلوقين تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهم صنفان: صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف شبهوا صفاته بصفات غيره^(٢). واستدلوا على مذهبهم الخبيث بظواهر الآيات والأحاديث الواردة ما يوهم ظاهره ذلك، أما استدلالهم من الكتاب العزيز كقوله تعالى: (وَبَيَّنَّا وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧))^(٣)، وقوله أيضاً (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠))^(٤)، إلى غير ذلك من الآيات.

ومن الأحاديث ما روي عن أبي هريرة إن رسول الله (ﷺ) قال: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له))^(٥).

قال الإمام (رحمه الله) صانع العالم ليس بجسم، وخالفنا في ذلك طوائف كثيرة من اليهود^(٦) والمشبهة والكرامية. فقال: إن اطلاقهم هذا خطأ؛ لأنه اسم للمتركب في اللغة، فإنهم يقولون: (هذا جسيم) للمبالغة، وأجسم منه للتفضيل، ولولا أن الجسم اسم للمتركب الذي يجري فيه التزايد، لما جرى فيه المبالغة والتفضيل، ألا يرى أن الوجود والقيام بالذات لما لم يجز التزايد فيهما لا يصلح أن يقال: هذا أوجد من ذلك ولا أقوم منه بالذات. بعد أن رد عليهم الإمام (رحمه الله) باللغة، وبين خطأهم، بعدها يستخدم أسلوب الجدال المنطقي^(٧) والإلزام العقلي لدحض شبههم، فيقوم بفرض عدة تساؤلات أو اعتراضات محتملة قد يسأل أو يعترض بها الخصم، ثم يجيب عنها بطريقة تجمع بين النص والعقل، مثال:

(١) ينظر: العرش، الذهبي، ١٣٩/١-١٤٠.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ص ٢٢٥؛ والملل والنحل، الشهرستاني، ص ١٠٥.

(٣) سورة الرحمن: من الآية ٢٧.

(٤) سورة الفتح: من الآية ١٠.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب الترغيب في الدعاء والذكر، رقم الحديث (١٨٠٩)، ١٧٥/٢.

(٦) سبق الحديث عنه في الفصل الثاني ص ٥٣-٥٤.

(٧) المنطق الجدلي: أسلوب استخدمه الإغريق بشكل عام للدلالة على العمليات التي تحكم الجدال والتفكير. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، ٣٥٢/١.

١- فقال الإمام (رحمه الله) معترضًا على الكرامية : فإن قيل: إطلاق اسم الجسم في المخلوقات إن كان يدل على التركيب فلم قلت: إنه في الغائب كذلك؟

قلنا: مقتضى اللغة لا يختلف في الشاهد والغائب، ولو جاز ذلك لجاز أن يسمى الغائب طويلاً عريضاً ساكناً متحركاً آكلاً شارباً، ولا يرد بها ما يفهم في الشاهد، فالخصم إن جَوَّز ذلك كفر، وإن امتنع عن ذلك تناقض^(١).

٢- فإن قيل: إذا قلت: إنه شيء لا كالأشياء فهلاً لا تقولون: إنه جسم لا كالأجسام؟ قلنا الفرق بينهما من وجهين:

أحدهما: أن الشيء اسم للموجود، ومعناه مستقيم على الله تعالى؛ لأنه موجود والاسم ورد به قال تعالى قل أي شيء أكبر شهادته قل الله ولو لم يكن شيئاً لما استقام ذكره في جواب أي شيء

يحققه: أنا ننتهي في أسماء الله تعالى إلى ما أنهانا الشرع، حتى لا نسمي الله تعالى طبيئاً، وإن كان عالماً بالأدوية والعلل، ولا فقيهاً وإن كان عالماً بالأحكام بما لها من المعاني، ولا صحيحاً وإن كان مُنْزَهاً عن الآلام والأسقام . ولا يلزم على هذا الموجود، والقديم، وإن لم يرد الشرع به؛ لأن الإجماع منعقد على إطلاقهما وإنه بمنزلة النص^(٢).

والثاني: أن قولنا: شيء لا كالأشياء لا يكون متناقضاً، ولا خالياً عن الفائدة؛ لأن بقولنا: (لا كالأشياء) لا ننفي مطلق الوجود الثابت بصدر الكلام ليكون تناقضاً. وإنما نفينا به ما وراء مطلق الوجود من الجسمية، والجوهرية والعرضية التي أمارات الحدوث، فيكون مفيداً فأنتم بقولكم: (لا كالأجسام) إن نفيتم التركيب فهو تناقض، وإن نفيتم غيره فلا فائدة فيه؛ لأن التركيب باق، وهو من أعظم أمارات الحدوث، فقياس هذا بذاك جهل فاحش، والله الهادي^(٣).

المبحث الثاني

نفي الحدوث عن كلام الله

قال الإمام (رحمه الله): الباري (عز وجل) متكلم بكلام واحد أزلي قائم بذاته ليس من جنس الحروف والأصوات، وهذه العبارات تسمى كلام الله تعالى لدالاتها عليه، فإن عبر عنه بالعربية فهو قرآن، وإن عبر

(١) ينظر: الهادي في علم الكلام، جلال الدين الخبازي، ص ١٥٥.

(٢) ينظر: الهادي في علم الكلام، جلال الدين الخبازي، ص ١٥٥-١٥٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ص ١٥٦.

بالسريانية فهو إنجيل، وإن عبر بالعبرية فهو تورا، والاختلاف في العبارات المؤدية لا عليه. كما أن الله تعالى يسمى بعبارات مختلفة بالألسنة، وفي لسان واحد بألفاظ مختلفة، والمسمى واحد^(١).

وقد لخص صاحب كتاب (الملل والأهواء والنحل) مواقف المتكلمين من صفة الكلام بقوله: "واختلفوا في كلام الله، عز وجل، بعد أن أجمع أهل الإسلام كلهم أن الله تعالى كلاماً... وقالت الأشعرية: كلام الله تعالى صفة ذات ولم تزل غير مخلوقة وهو غير الله تعالى وخلاف الله تعالى، وهو غير علم الله تعالى، وأنه ليس لله تعالى إلا كلام واحد"^(٢).

قال أبو حنيفة (رحمه الله): "إن الله تعالى متكلم وله كلام، ولكن كلامه ليس ككلامنا، وكونه متكلم يعلم بالضرورة الدينية وبإجماع الأنبياء على أنه متكلم، وتواتر نقل ذلك عنهم، وكلامه تعالى غير كلامنا، فكلامنا مكون من حروف، ونحن نتكلم في كلامنا الحسي بالآلات من المخارج المعهودة والعضلات الممدودة، والله متكلم بكلامه الذي هو صفته بلا آلة لتتزه ذاته عن القصور والاحتياج إلى الآلة، ويحصل له تعالى بلا آلة مالا يحصل لنا إلا بها، ولا حرف لتتزه عن الصوت وكيفيته القائمة بالهواء لحدوثها ومعنى هذا إشارة أبي حنيفة إلى أن كلام الله تعالى هو معنى قائم بالذات، وهو الكلام النفسي الذي يدور في النفس بلا حروف أو أصوات، وهو الذي عبر عنه بأنه الكلام بلا آلة ولا حروف، أما المكتوب في المصاحف فهو الألفاظ الدالة على المعنى القائم بالذات"^(٣).

أما المعتزلة اتفقوا كافة على أن معنى كونه تعالى متكلماً: أنه خالق الكلام على وجه لا يعود إليه منه صفة حقيقية، كما لا يعود إليه من خلق الأجسام وغيرها صفة حقيقية. واتفقوا أيضاً على أن كلام الرب تعالى مركب من الحروف والأصوات، وأنه محدث مخلوق. ثم اختلفوا فذهب الجبائي^(٤) وابنه أبو هاشم^(٥)

(١) ينظر: الهادي في علم الكلام، جلال الدين الخبازي ص ٢٢٦.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٤/٣.

(٣) الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة، علي عبد الفتاح المغربي، ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٤) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي من أئمة المعتزلة. ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة (الجبائية). له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. وله تصانيف عدة منها: الأصول والتفسير الكبير والاسماء والصفات وغيرها... (ت: ٣٠٣هـ). ينظر: الاعلام، الزركلي، ٦/ ٢٥٦؛ سير اعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ١١٣/١١.

(٥) هو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، المتكلم المشهور العالم ابن العالم؛ كان هو وأبوه من كبار =المعتزلة، ولهما مقالات على مذهب الاعتزال، له تصانيف عدة منها: تذكرة العالم والعمدة في اصول الفقه والشاملي في الفقه ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ١٨٣/٣؛ الاعلام، الزركلي، ٧/٤.

إلى أنه حادث في محل. ثم زعم الجبائي أن الله تعالى يحدث عند قراءة كل قارئ كلاماً لنفسه في محل القراءة، وخالفه الباقر^(١). ومذهب الكرامية المثبتين للكلام اللفظي وحدوثه^(٢).

وقد رد الإمام عليهم فقال: لنا: أن كلام الله تعالى لو كان مخلوقاً إما أن خلقه في ذاته كما زعمت الكرامية، فيصير محلاً للحوادث، وإما أن خلقه لا في محل، وهو محال، ولا قائل به على أنه لم يكن ذاته به متكلاً حينئذ لعدم الأولوية، ولو خلقه في محل آخر كما زعمت المعتزلة، فيكون المتكلم هو المحل؛ إذ المتصف بالصفات محالها، ويشق اسم الفاعل منها لمحالها دون موجدتها كالحياة^(٣)، والعلم^(٤)، والقدرة^(٥)، والسمع^(٦)، والبصر^(٧).^(٨)

فقد قسم الإمام (رحمه الله) المسألة هنا إلى حالات منطقية واضحة؛ لأن هذا التقسيم يهدف إلى حصر جميع الاحتمالات الواردة، ليسهل استبعاد غير المعقول، وقد بين تناقض كلام الكرامية من تنزيه الله تعالى، و أوضح أن كلام المعتزلة يؤدي إلى نسبة الكلام إلى ذلك المحل مما يؤدي إلى خروج الله عن أن يكون متكلاً، وقد اعتمد على قاعدة متفق عليها حول أن الصفة تُنسب إلى محلها وليس إلى خالقها وهذه القاعدة واضحة ومقبولة في العقل واللغة.

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، ابن الألويسي، ص ٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٠٣.

(٣) الحياة: وهي صفة أزلية قائمة بذاته تقتضي صحة العلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر. ينظر: أصول الدين، البغدادي، ١٢٤؛ شرح المواقف، الجرجاني، ٩٢/٨.

(٤) العلم: الباري تعالى عالم بعلم واحد قائم بذاته، قديم أزلي، متعلق بجميع المتعلقات، غير متناه بالنظر إلى ذاته، ولا بالنظر إلى متعلقات. ينظر: أبعاد الأفكار في أصول الدين، الأمدي، ٣٢٢/١.

(٥) القدرة: وهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه. ينظر: إرشاد الخلق إلى دين الحق، السبكي، ٢١/١.

(٦) السمع: وهي صفة أزلية تتعلق بالمسموعات. ينظر: شرح العقائد النسفية، التفتازاني، ص ٤٠.

(٧) البصر: وهي صفة أزلية تتعلق بالمبصرات، فتدرك إدراكاً تاماً لا على سبيل التخيل أو التوهم، ولا على طريق تأثير حاسة ووصول هواء. ينظر: المصدر نفسه: ص ٤٠-٤١.

(٨) ينظر: الهادي في علم الكلام، جلال الدين الخبازي، ص ٢٢٧-٢٢٨.

المبحث الثالث

إبطال التشبيه

التشبيه لغة: مشتق من الأصل الثلاثي اللغوي (شبه)، فالشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله؛ لوئًا ووصفًا، من المشابهة^(١).

التشبيه اصطلاحًا: "هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس"^(٢).

وأيضًا التشبيه: عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض يقصده المتكلم للعلم^(٣).

يُعَدُّ وصف الله تعالى بشيء من الأوصاف الجسمانية المادية أمرًا ينفر منه كل مسلم قرأ القرآن العظيم وكان له أدنى مسكة من عقل.

وقد خاضت بعض الفرق في متشابه النصوص القطعية، واعتمدوا على أحاديث الآحاد المشكوك في ثبوتها عن النبي (ﷺ) خصوصًا أثبتوا لله تعالى الجسم^(٤) ولوازمه^(٥)، قام العقلاء من علماء الإسلام بدفع هذه البدعة الطارئة على الدين الحنيف، وسلخوا في هذه النصوص القطعية مسلكا وهو التأويل^(٦)

أرادوا به تنزيه الله تعالى عن صفات الجسم ولوازمه، ولم يأخذوا بالنصوص الظنية في العقيدة التي فيها إثبات الجسم والجراحة للخالق تعالى، وقالوا: إِنَّ الظَّنِّي الذي يُفِيد التجسيم النقصان، لا يعارض القطعي الذي يُفِيد التوحيد والتنزيه. وأقاموا الأدلة القطعية من العقل الحصيف والنقل الصحيح على تنزيه الله تعالى عن الجسمية ولوازمها. والصراع في هذا الموضوع صراع قديم حديث صراع يدور بين العقل الحصيف المأخوذ من النقل الصريح وبين الحسِّ المُتَشَوِّف والوهم المتطلع إلى وصف الله بأحكام المحسوسات المادية

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/ ٢٤٢؛ العين، الفراهيدي، ٣/ ٤٠٤.

(٢) التعريفات الجرجاني، ١/ ٥٨.

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، احمد الهاشمي، ص ٢١٩.

(٤) الجسم: ما له طول وَعَرْضٌ وَعُمقٌ، ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجسامًا وَإِنْ قُطِعَ مَا قُطِعَ وَجَزِيَ ما قد جرى، ينظر: ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصبهاني، ص ١٩٦.

(٥) لوازم الجسم الجهة، والحيز، والمكان، والحركة والسكون، والكبر والصغر، وما شابه.

(٦) التأويل: في الأصل: الترجيع. وفي الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه يراه موافقًا للكتاب والسنة. ينظر: التعريفات، الجرجاني، ١/ ٥٠.

من الأجسام، وقد أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِمُخْتَلَفِ مَدَارِسِهَا وَطَوَائِفِهَا عَلَى تَقْدِيسِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْوَصْفِ بِالْجِسْمِ وَالْأَمْكَنَةِ وَالْحُدُودِ وَالْأَرْكَانِ وَالْغَايَاتِ وَالْجِهَاتِ؛ وَهَذَا الْإِجْمَاعُ مَبْنِي عَلَى الْقَوَاعِدِ الْقُطْعِيَّةِ الْمَأْخُذَةِ مِنَ النُّصُوصِ الْمُحْكَمَةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَالْعَقْلِ الْحَصِيفِ، وَلَمْ يَشْذَ عَنْ هَذَا الْإِجْمَاعِ إِلَّا قَلَّةٌ مِمَّنْ وَقَعُوا فِي الْفَهْمِ الْخَاطِئِ كَالْحَشَوِيَِّّةِ^(١) مِنَ الْمُجَسِّمَةِ^(٢).

وقال الإمام (رحمه الله): ولما ثبت أنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض: ثبت أنه لا مشابهة بينه وبين خلقه. ثم المنكرون للتشبيه اختلفوا فيما بينهم في إثبات الصفات ونفيها بناء على اختلافهم في المعنى الموجب للمشابهة، فلا بد كم بيان ماتقع به المشابهة^(٣).

وقال أبو هاشم وأبو بكر بن الأخشيد^(٤) من جملة المعتزلة: "انهما المشتركان في اخص وصف واستدلا بذلك على ان لا مماثلة بين السواد والبياض مع اشتراكهما في الوجود، وكونهما لونين وعرضين لما ان هذه اوصاف عامة فلما جاء الاشتراك في كونهما سوادين وهو اخص اوصافهما ثبتت المماثلة"^(٥).

وقد رد الإمام (رحمه الله) عليهم بحجج عقلية منطقية ونقض حجتهم فقال: لا نسلم بأن السوادين يتماثلان لاشتراكهما في السوادية، بل لعدم اختصاص أحدهما بوصف يستحيل على الآخر، ولا ينفصل ممن يستدل عليه، فنقول: لما لم تثبت المماثلة إلا باشتراكهما في جميع الأوصاف دل أنه لا مماثلة بدونه^(٦).

بعدها ينتقل الإمام (رحمه الله) إلى طريقته المتميزة في النقاش، ويقدم تساؤل مقدر قد يتبادر إلى فكر المخالفين، قال إن قيل: المماثلة بين المتماثلين إنما تقع بما به تقع المخالفة بينهما وبين غيرهما، فالسواد

(١) الحشوية: هم طائفة ضلوا عن سواء السبيل الذين يحشون الأحاديث بالإسرائيليات والموضوعات المكنوبة على رسول الله (ﷺ) لإثبات الجسمية ولوازمها في حق الله تعالى. ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٦٥٠/١.

(٢) ينظر: مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية، ابن الجوزي، ص ٢٧-٢٨-٢٩-٣٠.

(٣) ينظر: الهادي في علم الكلام، جلال الدين الخبازي، ص ١٧٣.

(٤) هو أبو بكر أحمد بن علي بن بيجور الإخشيد المعروف بابن الإخشيد، صاحب التصانيف. كان يدري الحديث، ويحتج به في تواليه، شيخ المعتزلة، وزهادة، له قرية تقوم بأمره، وكان يؤثر الطلبة، وله محاسن على بدعته، وله تصانيف عدة منها: نقل القرآن والإجماع وغيرها. (ت: ٦٢٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ٢١٨-٢١٧/١٥.

(٥) تبصرة الأدلة، ابو معين النسفي، ص ١٨٨-١٨٩.

(٦) ينظر: الهادي في علم الكلام، جلال الدين الخبازي، ص ١٧٤.

يخالف البياض بكونه سوادًا لا بكونه موجودًا أو عرضًا أو لونًا دل أن السواد يماثل السواد لكونه سوادًا لا غير.

قلنا: المحدث هل يخالف القديم في صفة الحدوث أم لا ؟ إن قلتم : لا يخالفه، وجب اشتراكهما في الحدوث وهو محال، وإن قلتم : نعم ، وجب أن تقع المماثلة بين المتضادات؛ لاشتراكهما في صفة الحدوث؛ ولأن السواد مع البياض يشتركان في مخالفة الحمرة بأخص صفتها، فوجب أن يكونا مثلين، وهذا محال، ومراد المعتزلة من هذا التحديد نفي صفات الله تعالى احترازًا عن التشبيه^(١).

وهذا يدل على إمام الامام (رحمه الله) بحجة الخصم لدرجة إنه يستطيع استباق التساؤلات التي قد يطرحوها، مما يدل على فهمه العميق لمسائل العقيدة، وآراء الفرق المخالفة.

وبعد أن وضع الإمام (رحمه الله) رأي المعتزلة وموقفهم، ورد على حججهم في نفي الصفات، انتقل بعدها الإمام (رحمه الله) إلى تفنيد رأي المشبهة وقولهم من الصفات، حيث انصرفوا إلى الجانب الآخر في إثبات الصفات على وجه التشبيه والتجسيم، حتى شبهوا الخالق بالمخلوق، وهم بذلك خالفوا جميع النصوص الصريحة التي تنفي المماثلة والتشابه بين الخالق والمخلوق، وفيما يلي بيان منهج الإمام (رحمه الله) في الرد على المشبهة مع بيان عقيدة المشبهة.

التمثيل: هو الاعتقاد في صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوقين. وهو قول الممثل: له يد كيدي، وسمع كسمعي^(٢).

وقد وقع في التمثيل والتكييف (المشبهة) الذين بالغوا في إثبات الصفات إلى درجة تشبيه الخالق بالمخلوق. والتمثيل نزعة يهودية الأصل، إذ وصفوا الخالق ببعض صفات المخلوقين، كما ذكر الله ذلك عنهم في كتابه العزيز حيث قال (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١))^(٣)، وقال تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

(١) ينظر: المصدر نفسه: ص ١٧٤-١٧٥.

(٢) ينظر: الموسوعة العقدية، مجموعة مؤلفين، ٢/٤٤٦؛ العرش، الذهبي، ١/١١٥.

(٣) سورة آل عمران: من الآية ١٨١.

المُفْسِدِينَ (٦٤))^(١). فاليهود تصف الرب بصفات النقص التي يتصف بها المخلوق، كما قالوا: إنه بخيل، وأنه فقير، كلها صفة نقائص تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً^(٢).

والتشبيه قسمان:.

أ- جعل التشبيه لله (عز وجل) في صفاته كلها، أو في بعض صفاته، أو في تمام معنى الصفة كما شبهت النصارى المسيح بن مريم بالله تعالى، وكما شبهت اليهود عزيراً بالله. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^(٣).

ب- أن تُشَبَّه صفة الله (عز وجل) بصفة خلقه في أصل المعنى دون تمامه، أن تُشَبَّه صفة الخالق (عز وجل) بصفة المخلوق في بعض المعنى أو في أصل المعنى.

الذي يوافق طريقة أهل السنة والجماعة أن يُنْفَى القسم الأول وهو المراد بالتمثيل دون نفي القسم الثاني؛ لأنَّ إثبات الصفات إثباتٌ للصفة مع المعنى، والمعنى يشترك المخلوق مع الخالق فيه في أصل الصفة، في أصل المعنى دون كماله.

كما أنَّ المخلوق يُوصَفُ بالوجود والله (عز وجل) يُوصَفُ بالوجود فبينهما اشتراك في أصل المعنى دون تمامه ودون حقيقته، الأول مُتَقَقَّ على منعه وهو التمثيل، والثاني مُخْتَلَفٌ في إطلاقه بين أهل العلم^(٤).

أما المعطلة: فإن أصل القول بالتعطيل يرجع إلى الجعد^(٥) الذي أخذ التعطيل عن أبان بن سميان، وأخذ أبان عن طالوت، وأخذ طالوت عن خاله ليبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان ليبيد زنديقا يقول بخلق التوراة^(٦).

"إما ما اعتمد عليه المعطلة من أدلة على نفي صفة العلو وغيرها من الصفات إنما هو عبارة عن حجج عقلية مزعومة ومبتدعة بناها هؤلاء المعطلة على أصول فلسفية كانوا قد تأثروا بها، وليس لهؤلاء

(١) سورة المائدة: من الآية ٦٤.

(٢) ينظر: العرش، الذهبي، ١/١٢٣.

(٣) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صالح الشيخ، ١/٧٣٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١/٧٣٥.

(٥) هو الجعد بن درهم، من الموالى: مبتدع، له أخبار في الزندقة. سكن الجزيرة الفراتية. قال الذهبي: (عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر. ينظر: الاعلام، الزركلي، ٢/ ١٢٠؛ سير اعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ٥/٤٣٣).

(٦) ينظر: الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، عبد العزيز بن يحيى الكنانى، ١/٣.

المعطلة في نفهم هذا أساس من كتاب الله أو سنة رسول الله (ﷺ). وقد جعل هؤلاء المعطلة لتلك الحجج حكم الأمر المحكم الذي يجب اتباعه واعتقاد موجب والتسليم به، وقد بلغ من تقديسهم لها أنهم جعلوها مقدمة على الكتاب والسنة فإذا ورد النص من الكتاب أو السنة عرضه على تلك الأسس العقلية، فإن وافقها احتجوا به اعتضادا لا اعتمادا، وإن خالفها فهم يحرفون الكلم عن مواضعه فيؤولون نصوص القرآن ويطعنون في نصوص السنة، وكل ذلك تحت دعوى التنزيه والتوحيد ونفي التشبيه وقد أفرط هؤلاء المعطلة في هذا الجانب^(١).

وقد رد الإمام (رحمه الله) على كلا من المشبهة والمعطلة، وتميز رده (رحمه الله) عليهم بمنهجه الوسطي الذي صرح فيه وبين أنه يجمع من جهة بين الحجة العقلية، وبين الاستدلال النقلي من جهة أخرى. فقال: إن أئمة الكلام استدلوا على المشبهة في نفي التشبيه، فقالوا: لو كان الله تعالى مثلا للعالم، أو لشيء منه من جميع الوجوه، أو من وجه، لكان هو محدثا من جميع الوجوه، أو من ذلك الوجه، أو كان ما يماثله قديما من جميع الوجوه، أو من ذلك الوجه، وذلك كله محال. علم أن المماثلة بجهة إنما يكون بعد استوائهما في تلك الجهة بدليل أنهم ادعوا حدوثه، أو قدم العالم بتلك الجهة^(٢).

وبهذا تبين بطلان قول من نفى صفات الله تعالى: تحرزا عن التشبيه؛ لأنه لا مماثلة بين علمه، وعلم غيره، فإن علمه دائم شامل للمعلومات ليس بضروري ولا مكتسب، وعلم غيره غير شامل للمعلومات، وهو عرض مستحيل البقاء ضروري أو مكتسب. فظهر بهذا بطلان قول جهم، والباطنية، والمتفلسفة الذين زعموا: أن الله تعالى ليس بشيء تحرزا عن التشبيه؛ لأن المماثلة لا تثبت بالاشتراك في الاسم، فإن السواد مع البياض شيئا ولا يتمثلان؛ ولأن الشيء اسم للموجود؛ لما أن لا شيء عبارة عن العدم حقيقته، وعن سقوط القدر بمجازه^(٣).

ثم قال (رحمه الله): "ونحن صرنا إلى الطريق المتوسط بين الغلو والتقصير، فأثبتنا صفات الكمال ونفينا المماثلة رداً على الطائفتين على وفق ما قال الله تعالى (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١))^(٤)؛ إذ في الآية إثبات السمع والبصر، ونفي المماثلة بابلغ الوجوه؛ لأن العرب متى أرادت التأكيد في نفي المشابهة جمعت بين حرفي التشبيه، فتقول: ليس كمثل فلان أحده. وقيل: الكاف صلة زيدت في الكلام

(١) العرش، الذهبي، ١/ ١٥٨-١٥٩.

(٢) ينظر: الهادي في علم الكلام، جلال الدين الخبازي، ص ١٧٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ص ١٧٧-١٧٨-١٧٩.

(٤) سورة الشورى: من الآية ١١.

للمبالغة، وقيل: المثل صلة، كما قال الله تعالى (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنُتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧))^(١)، يقال: ليس هذا كلام مثلك، أي: كلامك، والله الهادي^(٢).

الخاتمة

- ركز الإمام (رحمه الله تعالى) في مسألة أنه تعالى ليس بعرض، على إقامة برهان عقلي، لإثبات أنه تعالى ليس بعرض، وبعدها قام بنقد المذاهب المخالفة وردّ عليهم، فقد اتبع منهجاً عقلياً تحليلياً، جمع بين البرهان المنطقي والنقد للمذاهب الأخرى، وسعى (رحمه الله تعالى) في هذه المسألة إلى تنزيه الله تعالى عن النقص، وفسّر أن صفاته تعالى ليست أعرافاً لوجوب قيامها وبقائها بذاته تعالى.

٢- أن التشبيه هو عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض يقصده المتكلم للعلم.

٣- أن وصف الله تعالى بشيء من الأوصاف الجسمانية المادية أمراً ينفر منه كل مسلم قرأ القرآن العظيم وكان له أدنى مسكة من عقل.

٤- نلاحظ الإمام الامام (رحمه الله تعالى) بحجة الخصم لدرجة إنه يستطيع استباق التساؤلات التي قد يطرحوها، مما يدل على فهمه العميق لمسائل العقيدة، وآراء الفرق المخالفة.

٥- أن التمثيل هو الاعتقاد في صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوقين، وهو قول الممثل: له يد كيدي، وسمع كسمعي، وقد وقع في التمثيل والتكييف (المشبهة) الذين بالغوا في إثبات الصفات إلى درجة تشبيه الخالق بالمخلوق.

٦- عرض الإمام (رحمه الله تعالى) موقف المدرسة الماتريدية من التشبيه فقال: نحن صرنا إلى الطريق المتوسط بين الغلو والتقصير، فأثبتنا صفات الكمال ونفيها المماثلة ردّاً على المخالفين.

(١) سورة البقرة: من الآية ١٣٧.

(٢) ينظر: الهادي في علم الكلام، جلال الدين الخبازي، ص ١٨٠-١٨١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د، ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣. رفع النقاب عن تنقيح الشهاب، ابو عبد الله الحسين بن علي بنطلحة الراجري الشوشاوي (ت: ٨٩٩هـ)، تحقيق: احمد بن محمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد ، الرياض- السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٤. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٥. تنشيف المسامع عن جمع الجوامع، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق: د. سيد عب العزيز، وعبدالله ربيع، الناشر: مكتبة قرطاج، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٦. تبصرة الأدلة في أصول الدين، ابو معين ميمون النسفي الماتريدي (ت: ٥٤٧هـ)، تحقيق: محمد الأنوار حامد عيسى، الناشر: المكتبة الأزهرية، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
٧. المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، الناشر: عالم الكتب، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٨. موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، حالطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

٩. معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: الدكتور سليمان دنيا، الناشر: دار المعارف، مصر ١٩٦١ م.

١٠. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

١١. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ، د، ط، د، ت.

١٢. العرش، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)،

محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٣ م.

١٣. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٤. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار الملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.

١٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، د، ط، د، ت.

١٦. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (ت: ١٣١٧هـ)، علي السيد صبح المدني (رحمه الله)، مطبعة المدني، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

١٧. أصول الدين، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت: ٤٢٩هـ)، الناشر: مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية، اسطنبول - تركيا، الطبعة: الأولى ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م، د،

١٨. المواقف، الإمام الأجل القاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة (٨١٦ هـ)، الناشر: مطبعة السعادة - مصر، الطبعة: الأولى، سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م.
١٩. أبنكار الأفكار في أصول الدين، سيف الدين الأمدي، تحقيق: احمد محمد المهدي، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة-مصر، الطبعة: الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٢٠. الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق، محمود محمد خطاب السبكي، تحقيق: أمين محمود خطاب، الناشر: المكتبة المحمودية السبكية، الطبعة: الرابعة ١٣٩٧-١٩٧٧ م.
٢١. موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، عبد المنعم الحفني، الناشر: دار رشد ، الرياض-السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، د، ت.
٢٢. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠ هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د، ط، د، ت.
٢٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
٢٤. الملل والنحل، بو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ)، ل ناشر: مؤسسة الحلبي، د، ط، د، ت.
٢٥. العقيدة الأشعرية وادلتها، عبد الغني العموري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د، ط، د، ت.
٢٦. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦ هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م، د، ت، د، ط.
٢٧. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، الناشر: دار الفكر- ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، د، ت، د، ط.

٢٨. مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، الناشر: دار القلم، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٧م، د.ت.

٢٩. الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت: ٩٧٨هـ)، أعد فهارسه: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، د، ط، د، ت.

٣٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣١. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د، ط، د، ت.

٣٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٣٣. نزهة الأنام في محاسن الشام، أبو البقاء عبد الله البديري الدمشقي (ت: ٨٩٤هـ)، تحقيق: عمار محمد النهار، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٠م.

References

. The Holy Qur'an

١. **Ma jam Maqāyīs al-Lughah**, by Ahmad bin Faris bin Zakariyya al-Qazwini al-Razi, Abu al-Husayn (d. ٣٩٥ AH), ed. by Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, no edition, ١٣٩٩ AH / ١٩٧٩ CE.

٢. **Al-Sihah: Taj al-Lughah wa-Sihah al- Arabiyyah**, by Abu Nasr Isma il bin Hammad al-Jawhari al-Farabi (d. ٣٩٣ AH), ed. by Ahmad Abd al-Ghafur Attar, Dar al- Ilm lil-Malayin – Beirut, ٤th edition, ١٤٠٧ AH / ١٩٨٧ CE.

٣. **Raf al-Niqab an Tanqih al-Shihab**, by Abu Abd Allah al-Husayn bin Ali bin Talah al-Rajaraji al-Shushawi (d. ٨٩٩ AH), ed. by Ahmad bin Muhammad al-Sarrah, Maktabat al-Rushd, Riyadh – Saudi Arabia, ١st edition, ١٤٢٥ AH / ٢٠٠٤ CE.

٤. **Al-Tarifat**, by Ali bin Muhammad bin Ali al-Zayn al-Sharif al-Jurjani (d. ٨١٦ AH), verified by a group of scholars under the supervision of the publisher, Dar al-Kutub al- Ilmiyyah, Beirut – Lebanon, ١st edition, ١٤٠٣ AH / ١٩٨٣ CE.

٥. **Tanshif al-Masami an Jam al-Jawami**, by Badr al-Din Muhammad bin Abd Allah bin Bahadur bin Abd Allah al-Zarkashi (d. ٧٩٤ AH), ed. by Dr. Sayyid Abd al- Aziz and Abd Allah Rabi , Maktabat Qartaj, ١st edition, ١٤١٨ AH / ١٩٩٨ CE.

٦. **Tabsirat al-Adillah fi Usul al-Din**, by Abu Mu in Maymun al-Nasafi al-Maturidi (d. ٥٤٧ AH), ed. by Muhammad al-Anwar Hamid Isa, al-Maktabah al-Azhariyyah, Cairo – Egypt, ١st edition, ٢٠١١ CE.

٧. **Al-Muhit fi al-Lughah**, by Isma il bin Abbad bin al- Abbas, Abu al-Qasim al-Talaqani, known as al-Sahib bin Abbad (d. ٣٨٥ AH), ed. by Muhammad Hasan Al-Yasin, Alam al-Kutub, Beirut – Lebanon, ١st edition, ١٤١٤ AH / ١٩٩٤ CE.

٨. **Kashshaf Istilahat al-Funun wa-al- Ulum**, by Muhammad bin Ali bin al-Qadi Muhammad Hamid bin Muhammad Sabir al-Faruqi al-Hanafi al-Tahanawi (d. after ١١٥٨ AH), ed. by Dr. Ali Dahruj, Maktabat Lubnan Nashirun – Beirut, ١st edition, ١٩٩٦ CE.

٩. **Mi yar al- Ilm fi Fann al-Mantiq**, by Abu Hamid Muhammad bin Muhammad al-Ghazali al-Tusi (d. ٥٠٥ AH), ed. by Dr. Sulayman Dunya, Dar al-Ma arif, Egypt, ١٩٦١ CE.

١٠. **Siyar A'lam al-Nubala**, Shams al-Din Abu Abd Allah Muhammad bin Ahmad bin Uthman bin Qaymaz al-Dhahabi (d. ٧٤٨ AH), a group of editors under the supervision of Shaykh Shu ayb al-Arnaut, Muassasat al-Risalah, ٣rd ed., ١٤٠٥ AH / ١٩٨٥ CE.

١١. **Al-Tahrir wa al-Tanwir**, Muhammad al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad al-Tahir bin Ashur al-Tunisi (d. ١٣٩٣ AH), al-Dar al-Tunisiyyah li al-Nashr – Tunis, ١٩٨٤ CE, n.p., n.ed.

١٢. **Al-Arsh**, Shams al-Din Abu Abd Allah Muhammad bin Ahmad bin Uthman bin Qaymaz al-Dhahabi (d. ٧٤٨ AH), edited by Muhammad bin Khalifah bin Ali al-Tamimi, Deanship of Scientific Research at the Islamic University, Madinah, Saudi Arabia, ٢nd ed., ٢٠٠٣ CE.

١٣. **Mujam al-Lughah al-Arabiyyah al-Mu asirah**, Ahmad Mukhtar Abd al-Hamid Umar (d. ١٤٢٤ AH) with a team of researchers, Alam al-Kutub, ١st ed., ١٤٢٩ AH / ٢٠٠٨ CE.

١٤. **Al-Alam**, Khayr al-Din bin Mahmud bin Muhammad bin Ali bin Faris al-Zarkali al-Dimashqi (d. ١٣٩٦ AH), Dar al-Malayin, ١٥th ed., ٢٠٠٢ CE.

١٥. **Wafayat al-A yan wa Anba Abna al-Zaman**, Abu al- Abbas Shams al-Din Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim bin Abi Bakr Ibn Khallikan al-Barmaki al-Irbili (d. ٦٨١ AH), edited by Ihsan Abbas, Dar Sader – Beirut, n.p., n.ed.

١٦. **Jala al- Aynayn fi Muhakamat al-Ahmadayn**, Nu man bin Mahmud bin Abd Allah, Abu al-Barakat Khayr al-Din al-Alusi (d. ١٣١٧ AH), edited by Ali al-Sayyid Subh al-Madani (may Allah have mercy on

him), Madani Press, ١٤٠١ AH / ١٩٨١ CE.

١٧. **Usul al-Din**, Abu Mansur Abd al-Qahir bin Tahir al-Tamimi al-Baghdadi (d. ٤٢٩ AH), Madrasat al-Ilahiyyat bi Dar al-Funun al-Turkiyyah, Istanbul – Turkey, ١st ed., ١٣٤٦ AH / ١٩٢٨ CE, n.d.

١٨. **Al-Mawaqif**, Imam al-Ajal al-Qadi Adud al-Din Abd al-Rahman bin Ahmad al-Iji, edited by al-Sayyid al-Sharif Ali bin Muhammad al-Jurjani (d. ٨١٦ AH), Matba at al-Sa adah – Egypt, ١st ed., ١٣٢٥ AH / ١٩٠٧ CE.

١٩. **Abkar al-Afkar fi Usul al-Din**, Sayf al-Din al-Amidi, edited by Ahmad Muhammad al-Mahdi, Dar al-Kutub wa al-Wathaiq al-Qawmiyyah, Cairo – Egypt, ٢nd ed., ١٤٢٤ AH / ٢٠٠٤ CE.

٢٠. **Al-Din al-Khalis aw Irshad al-Khalq ila Din al-Haqq**, Mahmud Muhammad Khattab al-Subki, edited by Amin Mahmud Khattab, al-Maktabah al-Mahmudiyyah al-Subkiyyah, ٤th ed., ١٣٩٧ AH / ١٩٧٧ CE.

٢١. **Mawsu at al-Firaq wa al-Jama at wa al-Madhahib al-Islamiyyah**, Abd al-Mun im al-Hifni, Dar Rashad, Riyadh – Saudi Arabia, ١st ed., ١٤١٣ AH / ١٩٩٣ CE, n.d.

٢٢. **Al- Ayn**, Abu Abd al-Rahman al-Khalil bin Ahmad bin Amr bin Tamim al-Farahidi al-Basri (d. ١٧٠ AH), edited by Mahdi al-Makhzumy and Ibrahim al-Samarrai, Dar wa Maktabat al-Hilal, Beirut, n.p., n.ed.

٢٣. **Al-Mufradat fi Gharib al-Quran**, Abu al-Qasim al-Husayn bin Muhammad known as al-Raghib al-Asfahani (d. ٥٠٢ AH), edited by Safwan Adnan al-Dawudi, Dar al-Qalam, al-Dar al-Shamiyyah Damascus/Beirut, ١st ed., ١٤١٢ AH.
٢٤. **Al-Milal wa al-Nihal** by: Abu al-Fath Muhammad bin Abdul Karim bin Abu Bakr Ahmad al-Shahrastani (d. ٥٤٨ AH), Publisher: Al-Halabi Foundation, no
٢٥. **Al-Aqidah al-Ash'ariyyah wa Adillatuha** by: Abdul Ghani al-'Ummari, Publisher: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, no date, no edition.
٢٦. **Mu'jam al-Buldan**, by Shihab al-Din Abu Abd Allah Yaqut bin Abd Allah al-Rumi al-Hamawi (d. ٦٢٦ AH), Dar Sader, Beirut, ٢nd edition, ١٩٩٥ CE,
٢٧. **Al-Bidayah wa al-Nihayah**, by Abu al-Fida Ismail bin Umar bin Kathir al-Qurashi al-Basri then al-Dimashqi (d. ٧٧٤ AH), Dar al-Fikr, ١٤٠٧ AH / ١٩٨٦ CE,
٢٨. **Manahij al-Bahth al-Ilmi**, by Abd al-Rahman Badawi, Dar al-Qalam, Beirut,
٢٩. **Al-Daris fi Tarikh al-Madaris**, by Abd al-Qadir bin Muhammad al-Naimi al-Dimashqi (d. ٩٧٨ AH), indices prepared by Ibrahim Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, no edition, no date.
٣٠. **Tarikh al-Islam wa Wafayat al-Mashahir wa al-A'lam**, by Shams al-Din Abu Abd Allah Muhammad bin Ahmad bin Uthman bin Qaymaz al-Dhahabi (d. ٧٤٨ AH), edited by Umar Abd al-Salam al-Tadmuri, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut-Lebanon, ٢nd edition, ١٤١٣ AH / ١٩٩٣ CE.
٣١. **Mu'jam al-Muallifin**, by Umar Rida Kahalah, Maktabat al-Muthanna, Beirut; Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, no edition, no date.
٣٢. **Shadharat al-Dhahab fi Akhbar man Dhahab**, by Abd al-Hayy bin Ahmad bin Muhammad bin al-Imad al-Ukri al-Hanbali, Abu al-Falah (d. ١٠٨٩ AH), edited by Mahmoud al-Arna'ut, Dar Ibn Kathir, Damascus – Beirut, ١st edition,
٣٣. **Nuzhat al-Anam fi Mahasin al-Sham**, by Abu al-Baq'a Abd Allah al-Badri al-Dimashqi (d. ٨٩٤ AH), edited by Ammar Muhammad al-Nahhar, Dar al-Ra'id al-Arabi, Beirut-Lebanon, ١st edition, ١٩٨٠ CE.